سلسلة
من علماء الإسلام
٧

أحمد بن ماجد
(أسد البحر)

تأليف
إيهاب سعيد النجمي
أحمد سعيد النجمي

إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع

سلسلة من علماء الإسلام

٧

البَحَّارة
أحمد بن ماجد

(أسد البحر)

تأليف

إيهاب سعيد النجمي

أحمد سعيد النجمي

أحمد بن ماجد

كان الناس قديمًا يخافون من البحر لأنهم كانوا لا يدرون أين نهايتَهُ ومع ذلك كان هناكَ أُنَاسٌ يحبُّون البحرَ ويتمتعون بالإبحار فيه ومنهم من كان كَلِفاً [١] باكتشاف عجائبه والوقوف على حدوده .

ومن هؤلاء الذين كانوا يحبون البحر ويتخذونه صديقا لا يفارقونه ويغرمون بمعرفة أسراره وعجائبه التى لا تنقضي ويتطلعون إلى أن يصلوا إلى نهايته وأن يعرفوا حدوده ويكتشفوا ما وراءه ؛ الملاح البحارة :

أحمد بن ماجد

---

(١) المكث : البقاء

وُلِدَ أحمد بن ماجد في القرن التاسع الهجري ما بين عَامي ٨٥٣ هـ و ٨٤٠ هـ.

وكان مولده في أرض (عُمَان) المعروفة الآن بـ (سلطنة عُمَان)، وَتُطِلُّ سلطنة عمان على البحر العربي وخليج عمان وفى مقابلتها تطل الهند على البحر العربي.

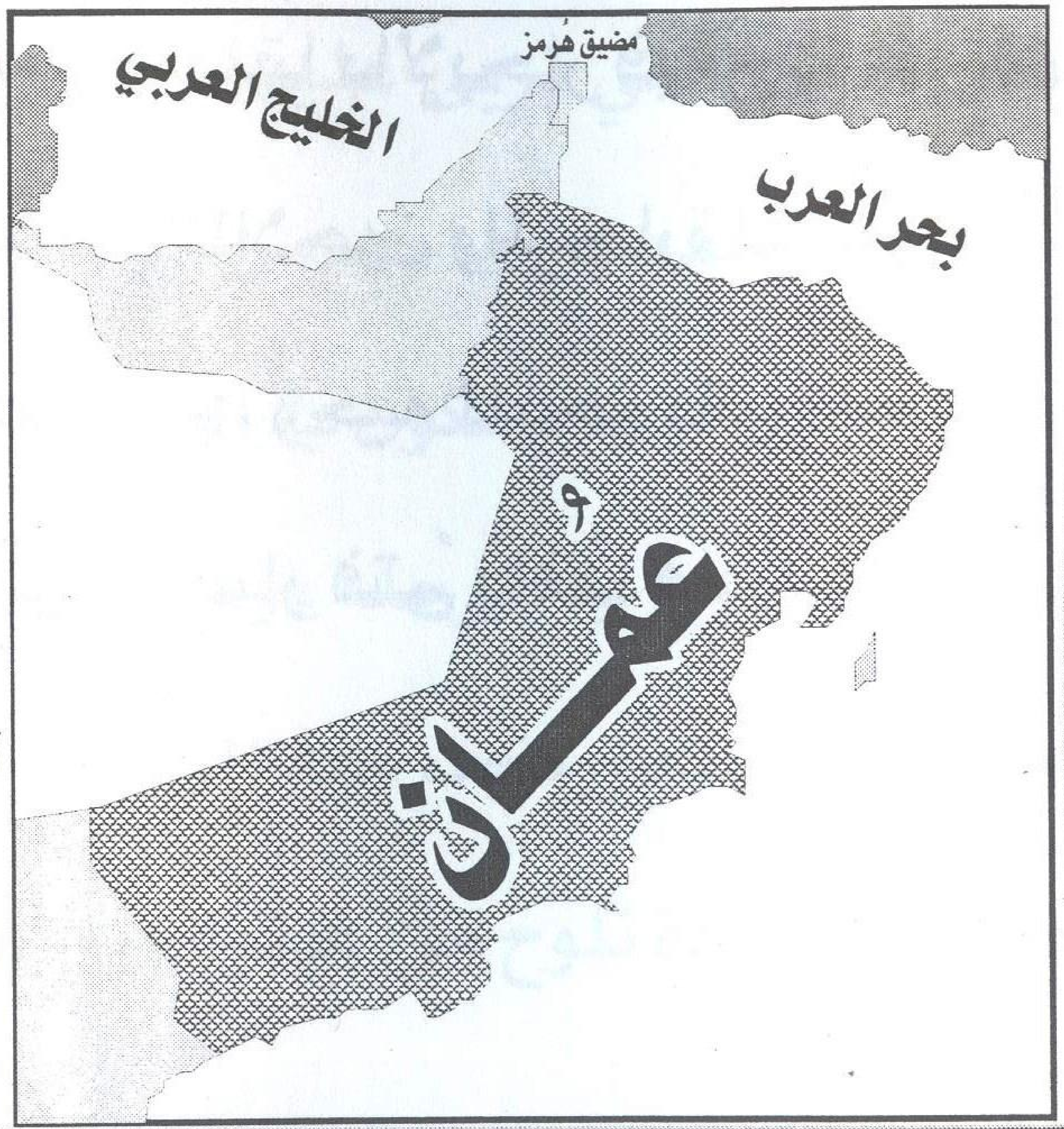

ولم يكن أحمد بن ماجد هو الوحيد في أسرته الذي أحب الملاحة وركوب البحر، بل كان أبوه ملاحًا مشهورًا وكذلك كان جده ملاحًا أيضًا.

لقد تأثر أحمد بن ماجد في صِغَره بأبيه ومغامراته مع البحر، وكان يستمع

للحكايات التي يحكيها له والده عن عجائب البحر وأسراره ، وما كان يلقاه هو وجده في رحلاتهم البحرية المختلفة.

كان أحمد بن ماجد كلمَّا استمع إلى مثل هذه الحكايات عن رحلات أبيه وجده والملاحين الآخرين يزداد شَغَفاً[1] بالبحر وتعلقاً بالإبحار فيه ويتمنى أن يكبر بسرعة لينضم إلى والده وأصدقاء والده من الملاحين والبحارة المشهورين.

مرت الأيام وأحمد بن ماجد يكبر يومًا عن يوم ، وحبه للبحر يكبر معه ويزداد ، وشوقه إلى الخروج مع والده يشتدُ إلى أن صار فتىً يافعًا قادرًا على الإبحار مع والده .

---

(١) شفغاً : شوقاً وحباً .

استأذن أحمد بن ماجد والده ليصطحبه معه في رحلته البحرية القادمة.. أذن له أبوه بأن يخرج معه الرحلةَ القادمة ففرح "أحمد" فرحًا شديدًا نَسِيَ معه كل شيء ، لكنه لم ينسَ أن يشكرَ والده ويُقَبّلَ يده على عادته التي تربى عليها.

علم أحمد بن ماجد من أبيه أن موعد الرحلة البحرية التي سيخرجون فيها ستكون في اليوم التالي . أعدَّ أحمد بن ماجد نفسه للخروج في الرحلة ، وعندما جاء اليوم التالي خرج مع والده وركب معه السفينة وكان السرور يملأ قلبه والسعادة تلوح من عينيه ، والابتسامة لا تفارق ثغره.

أبحرت السفينة وبَعُدتْ عن الشاطئ وأحمد بن ماجد ينظر إلى ماء البحر ويتأمل فيه وفى جمال منظره ويرفع عينيه تارة لينظر إلى الأفق البعيد حيث تلتقي السماء بالبحر فيقول : سبحان الله ، هذا البحر ليس له نهاية في اتساعه !!.

ويخفض عينيه تارة أخرى ليتأمل ماء البحر تحته ويتخيل ما يعيش في هذا البحر من كائنات ومخلوقات عجيبة وعديدة لا يعلمها إلا الله فيقول ثانية : سبحان الله هذا البحر ليس له نهاية في عمقه !!.

ووالده يَرْقُبُهُ ويرى السرور باديًا على وجه ابنه فَيُسَرُّ هو الآخر.

لم يكتفِ أحمد بن ماجد بالإبحار مع والده مرة واحدة، وإنما كرر الإبحار معه مرات عديدة وكان في كل مرة يزداد عجبه بالبحر وَإِلْفُهُ (١) وحبه له.

كان أحمد ابن ماجد يتعلم من والده في كل مرة شيئًا جديدًا عن البحر وكيفية الإبحار فيه ، وما يجب على الملاح أن يعرفَه ويتعلَّمَه ليتجنب المخاطر التي قد تواجهه.

كبر أحمد بن ماجد، واستطاع أن يبحر وأن يكون قائدًا لسفينة وحده يتحكم هو فيها ويعطي من معه التوجيهات والتعليمات التي تمكنهم من إتمام رحلاتهم بسلام.

---

(١) إلفه : حبه .

أحمد بن ماجد

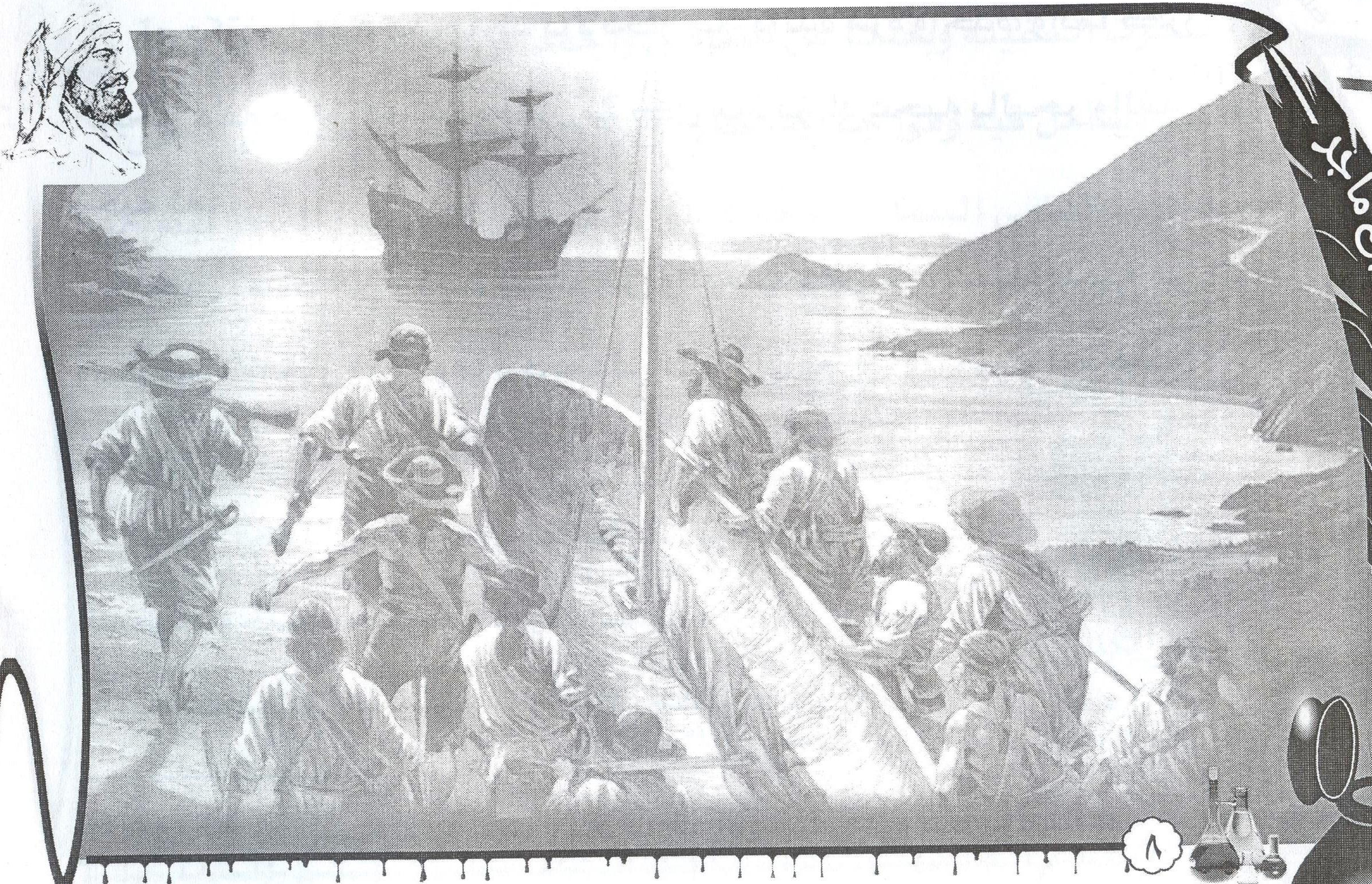

لم يقتصر أحمد بن ماجد على تعلم الإبحار فقط ، وإنما كان مولعًا بمعرفة الجديد عن البحر وأحواله ومخاطره وأهواله.

فمنذ بدأ الإبحار وحده لم يفارق البحر مطلقًا فَأَكْثَرَ من الرحلات فيه والخروج إليه مستعينا بخبرات سابقيه وبتجاربهم .

لم يعتمد ابن ماجد على خبرة والده فقط وإنما تعلم الكثير من اللغات الأخرى ، وتعلم علوم الحساب ، وقرأ في هذه اللغات وطالع كتب ومؤلفات أهلها في البحر وكيفية الإبحار فيه .

أصبح أحمد بن ماجد من الملاحين المشهورين المعروفين الذين ذاعَ صيتهم لِمَا صار لديه من خبرة واسعة وعلم كبير بالبحر ودروبه وكيفية الملاحة فيه.

وَقَفَ [١] ابن ماجد حياته كلها على ذلك العلم النادر في زمنه ، علم الإبحار والملاحة في البحر ليخدم أمته ودينه ، والاشتغال بعلم الإبحار والملاحة مهم جداً في ديننا الإسلامي ...

ومن فوائد هذا العلم وأهميته أنه كان الناس ـ في زمن أحمد بن ماجد ومَنْ قَبْلَهُ ـ الذين هم من بلاد بعيدة مثل الهند وغيرها إذا أرادوا أن يحجُّوا إلى بيت الله الحرام في مكة لم يكن أمامهم وسيلة إلا السفن عن طريق البحر ، فإذا لم يكن هناك ملاحون علماء بكيفية الإبحار والملاحة ويعرفون طرق البحر ويعرفون كيف يصلون إلى الكعبة المشرفة بهذه السفن وما تحمله من أرواح وأموال ؛

(١) وَقَفَ حياته على : جعلها كلها في سبيل ذلك الأمر .

إذا لم يكن هناك أُنَاسٌ يعرفون ذلك ما تَمَكَّنَ أهل تلك البلاد البعيدة من أداء فريضة الحج التي فرضها الله عليهم.

هذه فائدةٌ واحدةٌ من فوائد هذا العلم وجانبٌ واحدٌ من جوانب أهميته بالنسبة للإسلام والمسلمين ، وهناك العديد من الفوائد والمنافع وجوانب الأهمية لهذا العلم ، وعندما رأى أحمد بن ماجد حاجة أمته ودينه الإسلامي لهذا العلم بذل كل جهده وكل وقته في إتقانه وتجويده إلى أن صار إمامًا فيه.

ولم يكتفِ أحمد بن ماجد بذلك بل وضع كُتُبًا ومؤلفاتٍ في هذا العلم ليستعين بها الذين يأتون من بعده ولكي لا يضيع علمه بموته.

ومؤلفاته هذه موجودة إلى الآن يأخذ الناس منها علمًا كثيرًا غزيرًا يفيدهم في الإبحار والملاحة. ومن أشهر مؤلفاته وكتبه كتاب اسمه :

الفوائد في أصول علم البحر

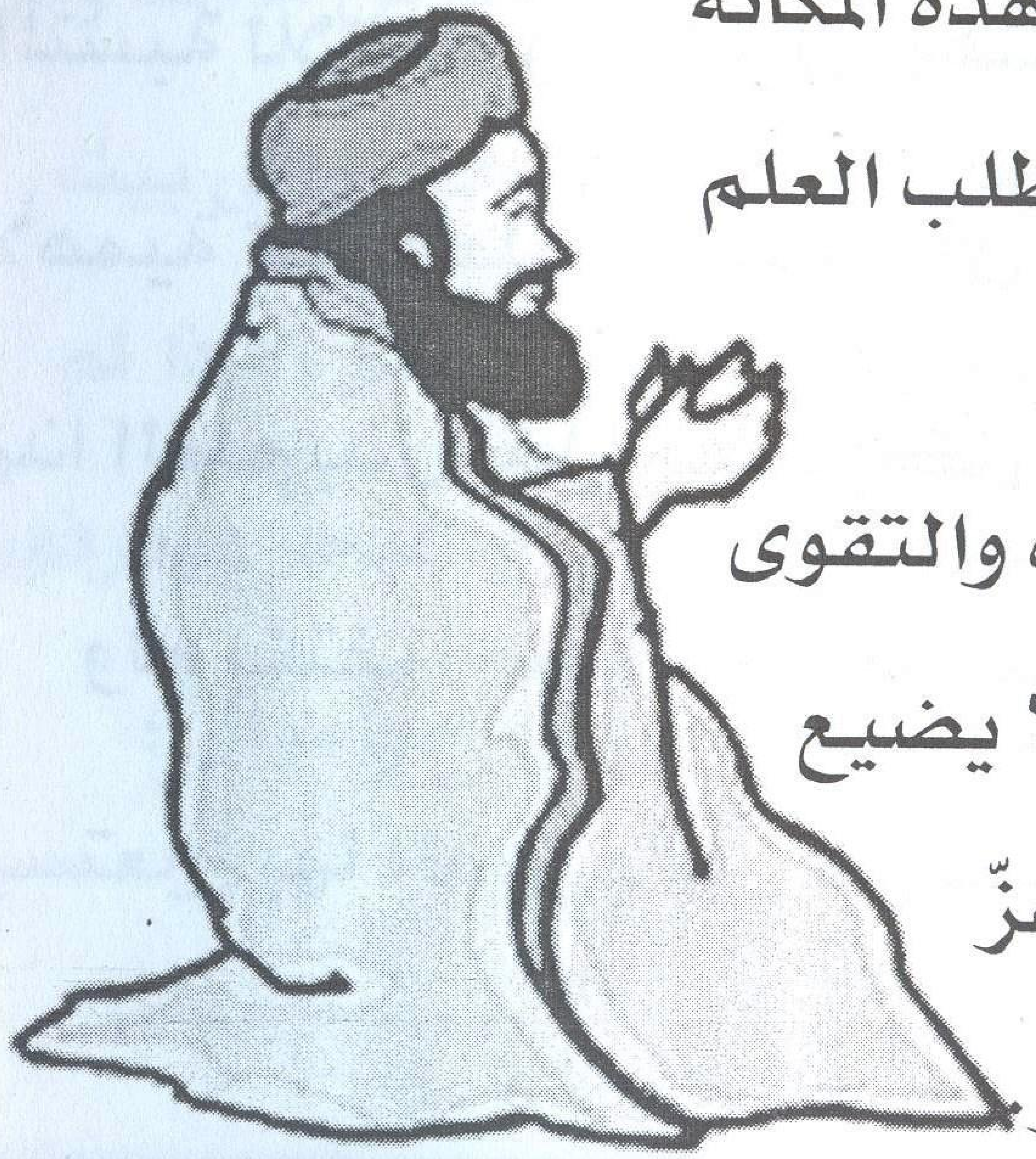

لم يصل الملاح الماهر أحمد بن ماجد إلى هذه المكانة الرفيعة من العلم إلا باجتهاده وحرصه على طلب العلم لنفع دينه وأمته.

كذلك كان أحمد بن ماجد تقيًّا ورِعًا ، والتقوى والورع هما الصلاح وفعل الخيرات ، فكان لا يضيع وقته فيما لا يفيد، وكان يتقرب إلى الله عزّ وجلّ بالصلاة الكثيرة والصيام الكثير

وكان دائمًا يقول لنفسه : لا تتكاسلي في طلب العلم وتحصيله فالرسول ﷺ يقول : " **اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد** "، وكان يقول لنفسه أيضًا : الإسلام يحتاج إلى هذا العلِم فيجبُ عليَّ أن أتعلمَه لأنفعَ الإسلام وأنفعَ أمتي .

كان أحمد بن ماجد يتحلى بالأخلاق الحسنة والصفات الطيبة فكان متواضعًا لا يتكبَّر على أحد وكان شجاعًا لا يخاف شيئًا . وكان مجتهدًا ونشيطًا وحريصًا على وقته لا يضيعه وكان أحمد بن ماجد يعلم أن من أراد أن يكون عالمًا في شيء عليه أن يتَّصِفَ بهذه الصفات كلها حتى يعلِّمَهُ الله وينفعه بما تعلم وكان دائمًا يذكِّر نفسه بقول الله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾

(البقرة ٢ /٢٨٢) .

فكان يوصي طلابه وكل من يطلب العلم فيقول له : (أوصيكم بتقوى الله) أي لا تفعلوا شيئًا يُغضِبُ الله .. كذلك كان يوصيهم بالاجتهاد فيقول لهم : (عليكم بقلة النوم) أي اجتهدوا .. وكذلك يوصيهم ويوصينا بأن نحافظ على أوقاتنا فيقول : (عليكم بقلة الكلام) أي لا تضيعوا أوقاتكم في الكلام الكثير واللعب وما لا يفيدكم.

هذه الأخلاق الحميدة هى التي ساعدت أحمد بن ماجد على أن يُحَصِّلَ العلمَ الكثير الذي ينفعُ به دينَهُ وأمتَهُ والدنيا كلها وأن يفوق كل الناس في هذا العلم .

ومن دلائل تفوقه على كل الناس في هذا العلم أنه هو الذي أرشد البحارة البرتغالي (فاسكو ديجاما) إلى الطريق الموصل إلى الهند والمعروف بـ

(طريق رأس الرجاء الصالح) الذي بذل البرتغاليون في اكتشافه جهدًا كبيرًا ووقتًا طويلاً فحاولوا مرات عديدة أن يصلوا إلى الهند عن طريق سَيْرِهِم في البحر بمحاذاة الساحل الأفريقي ولكنهم كانوا في كل مرة يفشلون ويرجعون دون أن يحققوا هدفهم إلى أن تولى هذه المهمة الصعبة البحارة البرتغالي (فاسكو ديجاما).

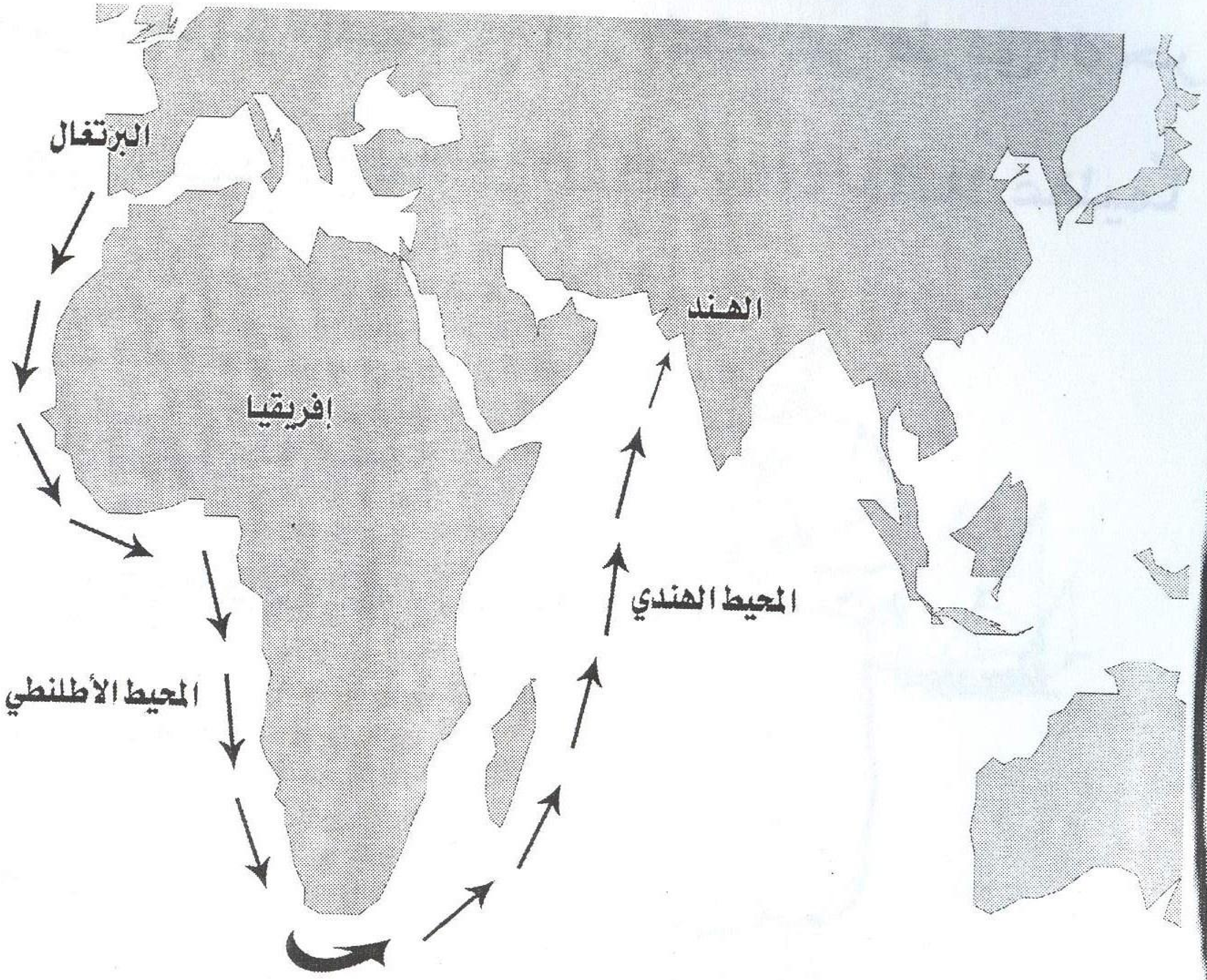

استعان فاسكو ديجاما بآراء البحارة العربي أحمد بن ماجد وخبراته الواسعة. مما أفاده كثيراً في رحلته حتى يقال إن أحمد بن ماجد هو الذي دل (فاسكو ديجاما) على الطريق الصحيح إلى الهند عن طريق البحر بمحاذاة سواحل أفريقيا وبهذا قدَّم أحمد بن ماجد للعالم نفعًا جليلاً عظيمًا بعلمه وحرصه واجتهاده.

وقد بلغ عمره سبعين عامًا لم يكسل فيها ولم يَفتُر في طلب العلم والمعرفة بُغْيَةَ النفع والإفادة لأمته ولدينه.

فنسأل الله أن يرحمه رحمة واسعة

آمين .. آمين